



مراجعة: وليد حباس\*

## الجنرالات ضد نتياهو: المعركة من أجل مستقبل إسرائيل

هذا الكتاب أهمية أكبر في أعقاب ٧ أكتوبر، خاصة في ما يتعلق بالسؤال الملح الذي ظهر في ذلك الصباح ولا يزال في رسم الإجابة عنه: من هو المسؤول عن هذا الإخفاق الكبير؟

لا بد، بغية وضع مراجعة هذا الكتاب في سياقها، من الإشارة إلى الوقائع التالية التي برزت خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ويمكن إدراجها تحت عنوان "اليمين الشعبوي ضد المؤسسة الأمنية"، وأهمها:

في كانون الأول ٢٠٢٣، اقتحم جنود إسرائيليون مسجدًا في مدينة جنين، واستخدموا سماعات المأذنة لإطلاق صيحات توراتية، مما أجبر الجيش على تعليق خدمتهم العسكرية. في جلسة الحكومة التي تلت ذلك، انتقد الوزير إيتمار بن غفير تصرف قيادة الجيش، "ويل لنا إذا لم يعودوا للخدمة، ويل لنا"، لكن رئيس

الكتاب:

الجنرالات ضد نتياهو: المعركة من أجل مستقبل إسرائيل

المؤلف: غاي زيف

الناشر: كامبردج، كانون الثاني ٢٠٢٤

يغوص كتاب غاي زيف (Guy Ziv) بعنوان «الجنرالات ضد نتياهو: المعركة من أجل مستقبل إسرائيل» عميقًا في التوترات بين اليمين الشعبوي الإسرائيلي ممثلًا ببنيامين نتياهو (الذي يقدم نفسه كـ "رجل الأمن" الأول) وجنرالات المؤسسة الأمنية الإسرائيلية (الذي ينظرون منذ فترة طويلة بريبة وشك إلى نهج نتياهو في ما يتعلق بالأمن القومي). يكتسب

\* باحث في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار".

قراءة في كتاب

يغوص كتاب غاي زيف (Guy Ziv) بعنوان "الجنرالات ضد نتنياهو: المعركة من أجل مستقبل إسرائيل" عميقاً في التوترات بين اليمين الشعبوي الإسرائيلي ممثلاً بنيامين نتنياهو (الذي يقدم نفسه كـ "رجل الأمن" الأول) وجنرالات المؤسسة الأمنية الإسرائيلية (الذي ينظرون منذ فترة طويلة بريبة وشك إلى نهج نتنياهو في ما يتعلق بالأمن القومي).

تطبيقه). يستند هذا الموقف إلى افتراض، تعيد المؤسسة الأمنية اجتراره وتكراره، بأن استمرار حكم إسرائيل للفلسطينيين سيؤول إلى واقع دولة واحدة وقد ينهي الحلم الصهيوني من خلال خلق أغلبية غير يهودية. لكن من جهة أخرى، بنى نتنياهو بروفائله السياسي على النقيض التام لأطروحة جنرالات الأمن، حيث يعتقد أن تخلي إسرائيل عن الأرض المحتلة أو إقامة دولة فلسطينية هو بالذات ما سوف يشكل التهديد الاستراتيجي الأهم لأمن إسرائيل، ويجعلها عرضة للهجمات المستمرة للفلسطينيين الذين يشكل "الإرهاب" جزءاً متأصلاً في غريزتهم.

بيد أن الخلاف يتعدى كونه تبايناً بين موقفين سياسيين، فهو، حسب زيف، خلاف مؤسساتي يتعلق بشكل الدولة، وأيثوس (ethos) الحكم، وإعادة ترتيب العلاقة بين السياسي والأمني داخل مؤسسات الدولة. يقدم الكتاب لمحة تاريخية عن العلاقات المدنية-العسكرية في إسرائيل، ويتتبع تطور هذه الديناميات من حرب العام ١٩٦٧ عبر مختلف الصراعات وعمليات السلام. هذا السياق التاريخي مهم لفهم الوضع الحالي العاصف بتوترات عميقة بين السياسيين اليمينيين من جهة وجنرالات المؤسسة الأمنية من جهة أخرى.

يعد تراجع تقديس الجمهور للجيش، الذي تفاقم بسبب الإخفاقات العسكرية المتصورة وصعود القومية الشعبوية، موضوعاً حاسماً. يدرس الكتاب كيف نجح السياسيون اليمينيون في ربط المؤسسة الأمنية باليسار السياسي، مما أدى إلى تآكل ثقة الجمهور بها. إن الصراع بين القوى الشعبوية التي يمثلها نتنياهو والليكود والمتشددون الدينيون والمتطرفون اليمينيون من جهة، وبين المؤسسة الأمنية المهيمنة تاريخياً من جهة أخرى، ليس جديداً. يعود هذا التوتر إلى عقود مضت ويمكن إرجاعه إلى لحظتين محوريّتين في التاريخ الإسرائيلي.

الأركان رد عليه: "لا تهددني".

في آذار ٢٠٢٤، وفي ضوء إجراءات سموتريتش التعسفية للإضرار بالسلطة الفلسطينية وتجفيف مواردها، حصل خلاف وتراشق اتهامات بين تيار سموتريتش ومسؤولي الجيش والمخابرات الإسرائيلية. وبخلاف توصيات المؤسسة الأمنية، وعلى الرغم من التحذيرات النابعة من "مكانة مطلعة على الأمور"، يحاول تيار سموتريتش المضي قدماً لعقوبات لا داعي لها، حسب المؤسسة الأمنية، ضد السلطة الفلسطينية.

في تموز ٢٠٢٤، اقترح نشطاء اليمين الإسرائيلي معسكر ساديه تيمان، وحاولوا حماية جنود إسرائيليين من الاعتقال على يد الشرطة العسكرية في مشهد بدا فيه الخلاف واضحاً بين المؤسسة الأمنية (التي تمثل سيادة القانون، والتفكير المهني-الأمني) والتيار اليميني الشعبوي (الذي يتوجس من سيادة القانون المطلقة، ويمتاز بتفكير عقائدي غير مهني).

تشير هذه الأحداث، التي تعتبر غيضاً من فيض، إلى التوتر المستفحل بين اليمين الشعبوي المعادي لمبادئ الدولانية والمؤسسة الأمنية الإسرائيلية التي لا تزال، بشكلها العام، تعمل وفق عقيدة ليبرالية، مهنية، غير مؤدلجة تم رسم معالمها من قبل التيارات الصهيونية المؤسسة، والتي يمكن تشخيصها بأنها علمانية تحترم قيم الدولانية وتراتب السلطات. يقدم لنا كتاب زيف إطلالة على هذا الصراع الخفي/ العلني، أسبابه، ومآلاته من خلال التركيز على قضية الفلسطينيين وحل الدولتين: من جهة، يدعي الكاتب أن الموقف الكلاسيكي للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية (تحديداً جنرالات الجيش، الشبابك والموساد) يميل أكثر إلى انهاء "مشكلة" الفلسطينيين عبر إيجاد صيغة تتخلى فيها إسرائيل عن عبئهم (وبعد العام ١٩٩٣ من خلال صيغة حل الدولتين، كحل "مثالي"، بغض النظر عن

بيد أن الخلاف يتعدى كونه تبايناً بين موقفين سياسيين، فهو، حسب زيف،  
خلاف مؤسساتي يتعلق بشكل الدولة، وأيثوس (ethos) الحكم، وإعادة ترتيب  
العلاقة بين السياسي والأمني داخل مؤسسات الدولة.

من دوافع أخلاقية وإستراتيجية، حيث يرى القادة العسكريون أن الاحتلال لا يمكن الدفاع عنه أخلاقياً ويضر بإسرائيل استراتيجياً.

الضرورة الإستراتيجية للدولة الفلسطينية: يجادل الكتاب بأن إقامة دولة فلسطينية ضروري للحفاظ على إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية، مستنداً إلى تصريحات شخصيات أمنية بارزة وتحليل تاريخي للمناقشات السياسية بعد العام ١٩٦٧.

في ما يتعلق بأسلوب قيادة نتنياهو، يقدم الكتاب نقداً ليليه إلى إعطاء الأولوية للمصالح الشخصية والسياسية على الأمن القومي، وكيفية تهميشه القيادات الأمنية التي لا تتفق معه. يعرض الكتاب كيف استخدم نتنياهو القومية الشعبوية لتعزيز سلطته وتقويض المؤسسات الديمقراطية، مستشهداً بأمثلة على تلاعبه بوسائل الإعلام والسيطرة عليها لتهميش المعارضة والحفاظ على صورته كـ "السيد الأمن".

في الختام، يحذر الكتاب مما تجابهه الديمقراطية الإسرائيلية من تهديدات وجودية في ظل استمرار الاحتلال واحتمال ضم الضفة الغربية. يشير الكتاب إلى أن المؤسسة الأمنية ترى أن إقامة دولة فلسطينية ضرورية لأمن إسرائيل وديمقراطيتها وطابعها اليهودي على المدى الطويل، وأن قيادة نتنياهو القومية الشعبوية قد قوضت بشكل كبير هذه القيم. ويخلص الكتاب إلى أن بقاء إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية في خطر، وتعتبر المؤسسة الأمنية أن مهمتها الأكثر أهمية هي مواجهة هذه التحديات.

على الرغم من أن هذا الكتاب يقدم لمحة عميقة عن الوضع الحالي داخل إسرائيل، فإنه ينبغي تفسيره ضمن السياق الأوسع للهوة بين القوى الشعبوية الصاعدة والقوى الدولانية التي تفقد هيمنتها وحظوتها تدريجياً. يبدو أن أحد الأهداف الأساسية للكتاب هو

أولاً، احتلال الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧، الذي أثار تساؤلات جوهرية حول مستقبل هذه الأراضي وإسرائيل نفسها. ثانياً، اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣، عندما شرع رئيس الوزراء إسحق رابين في مفاوضات سياسية مع الفلسطينيين، وقدم نموذج حل الدولتين كحل محتمل للصراع المستمر. ظهر نتنياهو في السنوات الأولى لأوسلو كزعيم صاعد وقدم نفسه على أنه رجل الأمن الأول، وبنى أهم معالم بروفايله السياسي على فكرة حماية دولة إسرائيل من خطر التقسيم، التنازل، انشاء دولة للفلسطينيين.

يتناول الكتاب موضوع قيادة بنيامين نتنياهو وتأثيره على المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، ويستشهد بمقولات لجنرالات الأمن لتوضيح هذا التأثير، حيث يبرز رئيس الموساد السابق مئير داغان، ورئيس الشاباك السابق ويوفال ديسكين، ملاحظتهما حول تفضيل نتنياهو مصطلحاته الشخصية على المصلحة الوطنية. يسلط الكتاب الضوء على العلاقة المتوترة بين القيادة السياسية والمؤسسة الأمنية في إسرائيل، خاصة منذ حرب ١٩٦٧، حيث كانت هناك مناقشات داخل الحكومة والجيش حول مستقبل الأراضي المحتلة. يعرض الكتاب كيف كانت المؤسسة الأمنية تفضل الحلول الدبلوماسية بينما كانت القيادة السياسية تتردد. يركز الكتاب على ثلاثة محاور رئيسية:

العلاقات المدنية-العسكرية: يستعرض الكتاب التوترات بين القادة العسكريين والسياسيين في إسرائيل، حيث كانت القيادة العسكرية غالباً ما تدعو إلى حلول دبلوماسية، في حين كانت القيادة السياسية أكثر تحفظاً.

الدوافع الأخلاقية والبراغماتية: يشير الكتاب إلى أن دعم حل الدولتين داخل المؤسسة الأمنية كان نابغاً

على الرغم من أن هذا الكتاب يقدم لمحة عميقة عن الوضع الحالي داخل إسرائيل، فإنه ينبغي تفسيره ضمن السياق الأوسع للهوة بين القوى الشعبوية الصاعدة والقوى الدولانية التي تفقد هيمنتها وحظوتها تدريجياً. يبدو أن أحد الأهداف الأساسية للكتاب هو نزع الشرعية عن ممارسات نتنياهو من خلال تأطيرها على أنها تخدم مصالحه الذاتية وتصوير الجناح اليميني على أنه غير عقلائي وغير أخلاقي.

وبفشله في وضع هذه التحولات في سياقها الكامل، يخاطر الكتاب بالمبالغة في تبسيط السرد وتفويت فرصة الخوض في الأسباب الجذرية لهذه التغييرات المجتمعية. يكشف تحليل هذه الديناميات من خلال عدسة أوسع أن نمو اليمين هو جزء من تطور أكبر، وربما لا مفر منه، مدفوع بالتوترات المستمرة التي لم يتم حلها وتتعلق بعدم حل المسألة الفلسطينية، والفشل في إنتاج هوية سياسية-اجتماعية واحدة في إسرائيل. وبالتالي، كان من الممكن أن يستفيد الكتاب من دراسة أكثر دقة لكيفية إعادة تشكيل هذه التغييرات المجتمعية للمشهد السياسي الإسرائيلي، بعيداً عن التأثير المباشر لقيادة نتنياهو. ومن شأن هذا النهج أن يوفر فهماً أكثر توازناً وشمولاً للتفاعل بين القوى الشعبوية والسعي الدائم لإيجاد حل للصراع الفلسطيني.

نزع الشرعية عن ممارسات نتنياهو من خلال تأطيرها على أنها تخدم مصالحه الذاتية وتصوير الجناح اليميني على أنه غير عقلائي وغير أخلاقي. لكن في حين أن التوتر بين الأحزاب اليمينية والمؤسسة الأمنية موجود بلا شك في إسرائيل، فإن الكتاب يهمل معالجة التحولات الأعمق والأكثر جوهرية التي تحدث داخل المجتمع الإسرائيلي<sup>١</sup> ولا يقتصر الأمر على أن نتنياهو يتلاعب بالتصور العام من خلال وسائل الإعلام؛ بل إن المشهد المجتمعي بأكمله يمر بتغيرات حقيقية قد لا يجوز نسبتها إلى تلاعبات شخص بعينه. وعليه، يفترض تحليل الكتاب، على الرغم من كونه مقنعاً، إلى استكشاف شامل لكيفية انعكاس هذه التحولات على اتجاهات مجتمعية أوسع بدلاً من أن تكون نتيجة لإستراتيجية نتنياهو الإعلامية فقط.

١ حول هذه التحليلات، انظر/ي: هنيدي غانم، «اليمين الجديد في إسرائيل: مشروع بناء الهيمنة الشاملة»، في هنيدي غانم (تحرير)، اليمين الجديد في إسرائيل: مشروع الهيمنة الشاملة (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار، ٢٠٢٣)، ص: ٥٣-١٢٨ وأيضاً انظر/هنيدي غانم، «في صراع المستعمرين المؤسسين والمستعمرين المستجدين»، في المشهد الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار، بتاريخ ٢٧ آذار ٢٠٢٣، <https://shorter.me/Oikbm>